# السّعادة الرّوحيّة

حضرة عبد البهاء

النسخة العربية الأصلية

**السّعادة الرّوحيّة**

ألقيت هذه الخطبة المباركة في بيت السّيّدة بارسنز في دوبلن

في 31 تموز 1912

**هو الله**

إنّي ممتنّ جدًّا من السّيّدة بارسنز لأنّها كانت سبب لقائي بكم وتحدّثي إليكم. إنّني إنسان شرقيّ وأنتم من أهالي هذه البلاد الغربيّة ولم يكن اجتماعنا في مكان واحد ممكنًا وقد صارت السّيّدة بارسنز سبب مجالستي ولقائي بكم لذا فإنّني ممتنّ جدًّا منها لأنّها عرّفتني بكم.

لقد جئت من الشّرق وعندما وصلت إلى هذه البلاد وزرت أمريكا رأيت أنّ الأمّة قد ارتقت في الماديّات رقيًّا عظيمًا في التّجارة وفي الصّناعة وفي العلوم الماديّة على حدّ سواء وأصبحت البلاد معمورة من كلّ جهة وكذا أصبحت التّرقّيات الماديّة في أوروبّا في منتهى درجة وهي تزداد يومًا فيومًا.

ولكنّني لاحظت أنّ التّرقّيات الرّوحانيّة قد تدنّت وأنّ الإحساسات الرّوحانيّة الملكوتيّة تضاءلت وقلّ التّوجّه إلى الله واتّجهت جميع القلوب إلى أمور الدّنيا وصار كلّ واحد يتمنّى أن ترتقي حياته الجسمانيّة وينال ثروة دنيويّة ويحصل على راحة وطمأنينة ناسوتيّة.

وخلاصة القول إنّ الإحساسات الماديّة كثيرة والإحساسات الملكوتيّة قليلة نسبيًّا وهذا هو الأمر في جميع أطراف الدّنيا.

ولكنّ سعادة العالم الإنسانيّ غير ممكنة دون حصول الإحساسات الرّوحانيّة ولن تكون للبشر راحة واطمئنان إلاّ بالتّوجه إلى ملكوت الله. فالجسد يتلذّذ من المواهب المادّيّة. أمّا الرّوح فتحيا من الفيوضات الإلهيّة ولن يكون السّرور الحقيقيّ والفرح الرّوحي ممكنين إلاّ بالإحساسات الملكوتيّة. لأنّ عالم البشر محاط بالبلايا والرّزايا والإنسان عرضة لكلّ بلاء ومصيبة. وكلّ إنسان لا بدّ أن يكون له همّ ومشكلة. فكلّ واحد مبتلىً من جهة ما. فمثلاً هناك شخص في منتهى الغنى ولكنّ صحّته عليلة ولذا فهو في همّ من هذه النّاحية. وهناك شخص في منتهى الصّحّة ولكن تصيبه مصيبة بوفاة طفل من أطفاله أو واحد من أقرب أقربائه أو أحسن أصدقائه فيصبح حزينًا من هذه الجهة. ونرى شخصًا آخر له عدوّ وعدوّه يتعقّبه لذا فإنّه مهموم من هذه النّاحية. وإن كمل سرور الإنسان من جميع الجهات صار النّاس يحسدونه فيقع في همّ وغمّ من هذ النّاحية.

وخلاصة القول ليست هناك في هذه الدّنيا راحة لإنسان. ولا تستطيع أن تجد شخصًا فارغًا من الهمّ والغمّ.

أمّا إذا كانت للإنسان إحساسات روحانيّة وتوجّه إلى الملكوت الإلهيّ فإنّ هذا مدار تسليته. فهو حينما يتوجّه إلى الله ينال إحساسات روحانيّة وينسى كلّ همّ وغمّ فلو هجمت عليه البلايا من جميع الجهات فإنّ لديه التّسلية لأنّه حينما يتوجّه إلى الله تزول جميع هذه الهموم والغموم والأحزان ويحصل على منتهى الفرح والسّرور وتحيط به البشارات الإلهيّة ويرى العزّة وهو في منتهى الذّلّة ويرى نفسه غنيًّا وهو في منتهى الفقر.

وقد حدث في الزّمن القديم أن جاء وقت سيطرت فيه المادّيّات ولم تبقَ هناك إحساسات روحانيّة وانحصرت جميع أفكار البشر في النّاسوت ولم يبقَ إنسان يتوجّه إلى الله. فسدّت أبواب معرفة الله وخمدت نار محبّة الله خمودًا كلّيًّا وغرق جميع البشر في بحر المادّة فظهر حضرة إبراهيم فماج بحر الرّوحانيّات وطلعت أنوار الملكوت ونفثت نفحة الحياة في القلوب وظهرت الرّوحانيّات وبرزت القوّة الملكوتيّة وتغلّبت على القوّة المادّيّة واشتعلت نار الهداية إلى أن أحاطت أنوار الملكوت الإلهيّة بعالم البشريّة.

وبعد مدّة انطفأت تلك الأنوار مرّة أخرى وأحاطت بالعالم ظلمات المادّيّة وغفل الخلق عن الله ولم يبقَ هناك توجّه إلى الملكوت فظهر حضرة موسى ورفع راية الدّيانة وشرع ببيان الملكوت وأشعل سراج الهداية فسطعت أنوار الملكوت من كلّ جهة وانجذب الإسرائيليّون إلى ملكوت الله.

وبعد مدّة انطفأ ذلك السّراج مرّة أخرى وأحاطت بالعالم الظّلمات وشغل النّاس بالأمور الجسمانيّة وأصبحت إحساسات جميع البشر مادّيّة وتعلّقت القلوب جميعًا بالنّاسوت وتنزّل جميع النّاس في أعماق الأرض تنزّل الحشرات وأصبح جميع النّوع الإنسانيّ كالحيوان فلم تبقَ أبدًا إحساسات روحانيّة ولم يبقَ نور هداية قطّ وغرقت جميع الملل في المادّيّات. ففي مثل هذه الحال طلع كوكب المسيح وتنفّس صبح

الهدى وسطعت أنوار الملكوت وفاضت الإحساسات الرّوحانيّة على المادّيّات وبلغ الأمر إلى درجة لم يبقَ فيها للمادّيّات حكم أبدًا وجرت الأمور على هذا المنوال مدّة من الزّمان. ثمّ بعد ذلك أظلمت الجزيرة العربيّة وظهرت الوحشيّة وظهر سفك الدّماء فحاربت الأقوام العربيّة بعضها بعضًا وسفك بعضها دم البعض الآخر ونهب بعضها أموال البعض الآخر وأسر بعضها أبناء البعض الآخر. ففي مثل هذه الحال ظهر حضرة الرّسول في الجزيرة العربيّة وربّى مثل هذه القبائل الوحشيّة وهذه النّفوس التّائهة ونوّر هؤلاء الجهلاء بأنوار المدنيّة وربّى النّفوس فنالت إحساسات روحانيّة وازداد توجّهها إلى الله.

ثمّ انقلبت الأمور مرّة أخرى وغرب كوكب نور الهداية وأحاطت ظلمة الضّلالة وظهرت القوى المادّيّة واختفت الإحساسات الدّينيّة وأظلمت القلوب وتدنّت العقول ففي هذا الوقت ظهر حضرة الباب في إيران وطلع كوكب حضرة بهاء الله وأشرقت أنوار الملكوت أشدّ إشراق وتلاشت القوى المادّيّة في الشّرق ولم تبقَ إحساسات مادّيّة وطلعت النّورانيّة السّماويّة وزالت الوحشية وظهرت التّربية الإلهيّة وبدأت القوى المعنويّة تظهر آثارها وقلّت غفلة الخلق وضلالهم وقد أحاطت نورانيّة حضرة بهاء الله بإيران اليوم إلى درجة تربّت نفوس مثل الملائكة وظهرت أنفس توجهت بقلوبها وأرواحها إلى ملكوت الله وغرقت في بحر الرّوحانيّات فهي رحمانيّة وهي نورانيّة وهي سماويّة وهي لا تعنى أقل عناية بهذه الدّنيا فهي تشتغل في صناعتها لتحصيل معاشها بمنتهى الهمّة لكنّ قلوبها متوجّهة إلى الله وأرواحها مستبشرة ببشارات الله وارتقت أخلاقها كثيرًا فلم يبقَ لديها من الأخلاق الذّميمة شيء. وصاروا رحماء بجميع الخلق ويحبّون جميع البشر ويعتبرون الجميع أهلهم وأقرباءهم وصاروا يسمّون عالم الإنسانيّة باسم شجرة واحدة ويرون جميع أفراد البشر بمثابة أوراق وبراعم وأثمار لتلك الشّجرة وغاية أملهم الصّلح العمومي وعقيدتهم وحدة العالم الإنسانيّ وهم مشتاقون إلى الرّقيّ في العلوم والفنون وساعون وراء ما يسبّب علوّ العالم الإنسانيّ وليست لدى هؤلاء تعصّبات: فلا تعصّب مذهبي ولا تعصّب جنسيّ ولا تعصّب وطنيّ ولا تعصّب سياسيّ ولا تعصّب لغويّ، فهم متحرّرون من جميع هذه التّعصّبات ويعتبرون سطح الأرض وطنًا واحدًا ويعتبرون جميع البشر أمّة واحدة ويرون جميع النّاس عبادًا لله ويعرفون الله رؤوفًا بجميع البشر ولهذا فهم رحماء بجميع البشر وليس لهم مقصد غير رضاء الله ولا أمنية لهم غير محبّة القلوب الإنسانيّة.

وقد تحمّل هؤلاء البلايا الكثيرة من أجل الحصول على هذا المقام فهاجمتهم سائر الأحزاب وثارت عليهم بمنتهى التّعصب ونهبت أموالهم وأغارت عليهم إلى درجة أحرقت أجساد بعضهم ولكنّهم لم يهنوا أبدًا فأصبحوا كلّ يوم هدفًا لسهم وكانوا في كلّ حين يضحّون بأرواحهم وقبلوا الشّهادة بكلّ فرح وسرور إلى أن مات ناصر الدّين شاه وقلّ التّعرض لهم ونالوا شيئًا من الأمن وهم الآن يبذلون الجهد أكثر من ذي قبل من أجل أن يصبح النّاس رؤوفين ببعضهم ويكون النّوع الإنسانيّ في حكم عائلة واحدة. وهم يبذلون

منتهى التّضحية في هذا المجال كي يصبح العالم الإنسانيّ نورانيًّا وتنعكس في العالم الإنسانيّ انعكاسات لاهوتيّة وتصبح القلوب المظلمة نورانيّة وتزول رذائل البشريّة وتتجلّى الفضائل السّماويّة.

ومن أجل هذا الهدف قمت بهذا السّفر البعيد إلى أمريكا وجئت إلى هنا وذلك كي يلتئم الشّرق والغرب ويتحقّق كامل الارتباط بينهما فيعاون الواحد الآخر ويصبح سبب راحته. فإن ائتلف الشّرق والغرب رفرف علم الصّلح العموميّ وتجلّت وحدة العالم الإنسانيّ وحصل الكلّ على الرّاحة والطّمأنينة.

ولهذا أتضرّع إلى الملكوت الإلهيّ ملتمسًا أن ينير هذه الوجوه ويجعل هذه القلوب نورانيّة ويبشّر الأرواح بالبشارات السّماويّة حتّى نكون جميعنا في حمى الله وننال السّعادة تحت ظلّه وننال الرّاحة الجسمانيّة ونبتغي السّعادة الرّوحانيّة ونبلغ منتهى آمالنا وأمانينا من جميع الجهات هذه هي آمالي وهذه هي مناجاتي لله.